السكة الحديدية

﴿ في الحجاز ﴾ (*)

تواترت الاخبار اليوم بمكة المكرمة ان حكومة الحجاز لآن مهتمة جداً بتسيير السكة الحديدية بين المدينة ومكة وبين هذه وجدة وهذه الاخبار طالما كانت تتشوق قلوب المسلمين الى وجودها خارجا لكونها تتردد مرارا من سنة الى أخرى حتى تسلسلت الى ما لا نهاية لها لكنها ساذجة

حقا أقول : ان الانسان بواسطة هذه السكة صار يستغني في سفره عن عدة أشهر ببعض أيام وعن عدة أيام بيوم أو بعض يوم فضلا عما توفر له من ماله الذي كان يصرفه في سفره وما اكتسبه من الراحة عما كان يكابده من المشاق والمصاعب والعوائق فلا تروج صناعة ولا تتقدم تجارة ولا زراعة الا بها لانها هي تنقل المصنوعات الخطيرة والحقيرة من بلد الى بلد ومن مملكة الى أخرى فيحسن حالها ، وتنقل حاصلات الزراعة من الحبوب والثمار وغيرها فيزيد نفعها وتزيد بزيادته رغبة الناس فيها واهتمامهم بها

وقصارى القول ان هذه السكة قد سهلت من السفر كل خطر شديد وجعلت البلد البعيد أقرب من حبل الوريد ، وسهلت المواصلات ، وقربت المسافات ، فعمت التجارة ، وعظمت الامارة ، وتلألأ العمران في سائر البلدان ، وتيسر للعلماء واصحاب الصنائع السفر الى البلاد البعيدة ، والاطلاع على أمور كثيرة ، وبذلك تتسع العلوم ، وتكثر الفنون ، وغير ذلك من منافعها التي لا تحصى ولا تكاد تستقصى ، لاسيما السكة الحجازية فان فوائدها أكثر ، ومنافعها أكبر ، وبيان ذلك

(*) رسالة وردت من مكة المكرمة لصاحب الامضاء

ان طريق الحجيج الى بيت الله الحرام والمدينة المنورة أيضا كلها مشقات واخطار التي لم يوجد في بلد من البلاد الاسلامية مثلها لان نظام القافلة لاضمانة له أصلاً كما هو مشاهد بالعيان في طريق المدينة ، ويكثر وقت تحميل القافلة وتنزيلها وسيرها السارقون والمنتهبون والمختلسون ، وربما هجم قطاع الطريق على الحجاج في هذه الطريق . وفي ٢٨ ذي القعدة سنة ١٣٢٦ كانت القافلة خرجت من مكة المكرمة بقصد زيارة الروضة النبوية الطاهرة وكان اكثر افرادها من الحجاج الجاويين المساكين وبعد أن بلغت محطة « بئر درويش » التي تبعد عن المدينة المنورة بيوم واحد أشيع بينها بواسطة الجمالة عن توقع اعتداء العربان عليها وتسبب عن هذه الارجوفة عودة القافلة من حيث اتت

لذلك كان الحجاج اذا قصدوا الى اداء هذه الفريضة أو الى زيارة الروضة النبوية كانوا أول ما يستعدون على سلاحهم واذا ساروا فقلوبهم تستغيث الى الله عز وجل أن يردهم سالمين غانمين وان لا يصادفهم أثناء السير أدنى ضرر وخلاف حتى كأنهم سائرون الى موقف القتال وهذا كما لا يخفى على عاقل ينافي دعاء نبي الله ابراهيم المذكور في كتاب الله العزيز : « واذ قال ابراهيم ربي اجعل هذا بلدا آمنا » الآية

ومع هذا فجل ما سمعنا من سوادهم الاعظم قولهم : ان تسيير السكة الحديدية في هذه الاقطار ذريعة لدخول المشركين اليها فلم يرغبوه خوفا لذلك

ثم الحقيقة ان هذه المقالة انما هي بسبب الغفلة والذهول عن الاحتمالات العقلية الصحيحة وسبب الذهول هو النظر الى البلاد الاسلامية التي تحت ولاية دول أوروبة لكثرة الافرنج فيها والا فيحتمل ان يتزيا الافرنجي بزي المسلمين ويتكلم باللغة العربية الفصيحة ويدعي دين الاسلام ويدخل الى هذه البلاد لتحقيق ما قصده من الاطلاع الى شؤون الاجتماع والعمران فمن الذي يعلم هذا ؟؟؟

ومما يؤيد هذا الاحتمال ما كتبه الاديب النجيب محمد بك لبيب في الرحلة الحجازية ما نصه : اما افراد الفرنجة الذين قصدوا مكة او المدينة في ازمنة مختلفة وكتبوا عنهما ما كتبوا على حسب نزعاتهم سياسية او دينية او عمرانية او جغرافية

انما كانوا يتزيون بزي المسلمين بعد ان يعرفوا اللغة العربية ويدعون انهم على الدين الاسلامي نخص بالذكر من هؤلاء بوركادت السويسري وبورتون الانكليزي . وهود جرونج الهولاندي (١) وكورتلمون الفرنساوي اه

وبناء على ما تقدم لم يبق شك ان تسيير السكة الحديدية ليس سببا لذلك كما قد يتوهم والاّ فدخول هؤلاء الى هذه البلاد بماذا ؟ فليأتونا دليلاً عليه فهل بواسطة الطيارات والمناطيد الهوائية (Ballon) لا ! لا ! فان الحجاج لا يدخلون اليها ولا يخرجون منها الا في ركب القافلة التي لا امانة لها اصلاً وعلى كل فنحن نؤكد من اهتمام دولتنا العلية لذلك وجعلنا عموماً بلا استثناء تثني على هم معالي الدولة العثمانية بكل جوارحنا باتخاذ الوسائل لحفظ شؤون وراحة حجاج بيت الله الحرام مما يدلنا على ما لدولته من خلوص الاعتقاد والشفقة والحرص التام على رعاية الحجاج والالتفات طبق نوايا الخليفة الاعظم ايده الله والسلام

يوم الاحد ٢٩ جماد الاخر ١٣٣٠　　كاتبه

أبو ذاكر الأيداني

يقول صالح رضا : لاشك بأن وجود السكك الحديدية التي تقرب الابعاد لمن أهم وسائل العمران وقد ظهر للحجاز بين فائدة وصول السكة الحديدية الى المدينة المنورة والسكة الحجازية هي أهم سكك حديد الدولة للاسباب التي ذكرها الكاتب ولانها هي السكة المالية الوحيدة في بلاد الدولة العثمانية

وان لارتقاء البلاد اسبابا أخرى أهمها نشر العلم الحقيقي الذي اصبح اداة كل رقي وملاك كل عمل نافع واذا تحضرت البلاد بغير أهلها فان ذلك هو الخراب الحقيقي لها لان الوافد اجنبيا كان أو وطنيا انما هو مستعمر مستثمر لذلك كان من الواجب لمساعدة الحجاز وأهله نشر العلوم والمعارف في اقطاره والا كان وجود السكة لفائدة غيرهم اولا ثم لهم ثانيا ان كانوا يعملون

---

(١) ومن الهولنديين الذين قصدوا مكة « الدكتور سنوك هخرونية » وسمى نفسه « عبد الغفار » وديانته ما أدري أهو مسلم حقيقي أو مسلم مجازي (الله أعلم) — والارجح ما قاله صاحب المنار